منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة من خلال كتابه "الأصنام"

أ.د . طير طيبات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة

ملخص المقال:

سنتعرف من خلال هذا المقال عن بعض القضايا الغيبية المتعلقة بالإنسان في المصادر الدينية اليهودية لا بمنهج وصفي إثباتي فقط، ولكن بمنهج تمحيصي نقدي ينفذ إلى عمق النص الديني، كاشفا ما فيه من تناقض، وعلى أساس هذا المنهج في البحث وصلت إلى جملة من النتائج تضمنتها خاتمة هذا المقال.

Abstract:

In the present article we will deal with some unseen issues relative to man in different Jewish religious references not only through a supporing descriptive method that considers the profoundness of religious text revealing the contradictions it entails.

On the basis of such a method in research, I reached the couple of results lying in the conclusion of the present article.

مقدمة:

لقد خص المسلمون علم التاريخ بعناية بالغة لميلهم إلى معرفة مصائر الأمم الماضية وحوادث الأزمان السابقة، واهتموا بالأنساب فرووا الأخبار، وجمعوا ما استطاعوا من الروايات وألفوا، ولم يتركوا ميدانا من ميادين النشاط الإنساني المادي والفكري إلا وسجلوا تاريخه، ومن بين هذه الميادين الميدان الديني الذي انصب عليه اهتمام جل المؤرخين لارتباطه بالجانب الروحي لدى الإنسان الذي انبرى علماء الاسلام في التأليف فيه، خاصة ما تعلق بالديانة العربية القديمة، وممن حسن تأليفهم في هذا الميدان من العرب القدماء هشام بن الكلبي صاحب كتاب "الأصنام"، ومن هنا تتجلى لنا أهمية البحث في هذا الكتاب لأنه يعد المصدر الأول في التأريخ للديانة العربية القديمة، إذ أن كل الذين أرخوا لها قد رجعوا إلى هذا الكتاب، كما أنه يعرفنا بظاهرة دينية كانت منتشرة كثيرا في البيئة العربية القديمة، والتي كان لها الأثر الكبير في الحياة الدينية والاجتماعية للعرب آنذاك، هي ظاهرة الوثنية الدينية.

ومن أجل ذلك ولأهمية الكتاب وصاحبه يجدر بنا التعرف اليهما من خلال طرح السؤال الآتي: من هو ابن الكلبي؟ وما منهجه في كتابه الأصنام؟ وما قيمته العلمية؟

التعريف بابن الكلبي:

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي، كنيته أبو المنذر، نسابة، إخباري، كان عالما بالنسب وأخبار العرب وأيامها، ووقائعها ومثالبها، نشأ بالكوفة وتوفي بها[1]، أخذ العلم عن أبيه ابن أبي النضر محمد المفسر، الإخباري[2] الذي كان من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون أن عليا لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، فيملأها عدلا كما ملئت جورا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها، حتى تبرأ واحد منهم وقال:

ومن قوم إذا ذكروا عليا   يصلون الصلاة على السحاب[3]

بالإضافة إلى أخذه عن أبيه، فقد أخذ عن مجموعة من فحول العلماء وأكابر الرواة المحققين، أمثال مجالد وأبي مخنف لوط، وقد حدث عنه ابنه العباس ومحمد بن سعد، وخليفة ابن خياط، وابن أبي السري العسقلاني،

وأحمد ابن المقدام العجلي[4]، وقد ذكر الخطيب في "تاريخ بغداد" أن هشاما كان يقول: "حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على

---

[1]- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء، ط1 (دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، 1411 هـ/1991 م) مجلد 5، ص 595.

[2]- منير البعلبكي، موسوعة المورد، ط1 (دار العلم للملايين- بيروت-1981 م) مجلد 5، ص 152.

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 595.

[4]- أبو سعد عبد الكريم بن منصور السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط1 (دار الجنان- بيروت- لبنان: 1408 هـ/1998 م) ص 86.

حفظ القرآن، فدخلت بيتا وحلفت ألا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام، ودخلت يوما أنظر في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة[1]، وقال إسحاق ابن إبراهيم الموصلي: "رأيت ثلاثة إذا رأوا ثلاثة يذوبون: علّويه إذا رأى مخارقا، وأبا نواس إذا رأى أبا العتاهية، والزهري إذا رأى هشاما"[2].

وقد كان الرجل آية في معرفة نسب العرب، حتى صار في زمانه فردا يضرب به المثل، ولقد بلغ من أمره أن القوم كانوا يقصدونه في معرفة أنساهم أو في انتحال الأنساب لهم، إذا كانوا قد نالوا حظا من الاشتهار، ومن ذلك أن أبا نواس طلب منه أن يزج به في نسب بني مذحج وهدده إذا لم يفعل ذلك وقد روى الجاحظ أن هشاما كان يأكل الناس أكلا، وكان علامة نسابة، وراوية للمثالب عيابة[3].

توفي ابن الكلبي بالكوفة سنة 204 هـ وقيل سنة 206 هـ، والأول هو الأصح[4].

---

[1]- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط1 (مؤسسة الرسالة- بيروت-1402 هـ/1982 م) ج10، ص 101.

[2]- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية- المدينة المنورة- مجلد 14 .

[3]- ابن الكلبي، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا (مقدمة المحقق)، ط3 (دار الكتب المصرية- القاهرة-1995 م) ص 16-18.

[4]- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط (دار صادر- بيروت-) مجلد 6، ص 184.

لقد خلّف ابن الكلبي مجموعة كبيرة من المؤلفات يقال إنّها بلغت مئة وخمسين مصنفا[1]، ذكر منها ابن النديم نقلا عن أبي الحسن الكوفي ما يأتي:

1. كتبه في الأحلاف: كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة، كتاب حلف الفضول وقصة الغزال، كتاب حلف كلب وتميم...
2. كتبه في المآثر والبيوتات والمنافرات والموؤودات: كتاب المنافرات، كتاب بيوتات قريش، كتاب شرف قصي ابن كلاب وولده في الجاهلية والإسلام، كتاب ملوك كندة...
3. كتبه في أخبار الأوائل: كتاب حديث آدم وولده، كتاب منطق الطير، كتاب المسوخ من بني إسرائيل، كتاب الأصنام...
4. كتبه فيما قارب الإسلام من أمر الجاهلية: كتاب مناكح أزواج العرب، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم- ،كتاب دخول جرير على الحجاج...
5. كتبه في أخبار الإسلام: كتاب التاريخ، كتاب تاريخ أجناد الخلفاء، كتاب المصلين...
6. كتبه في أخبار البلدان: كتاب البلدان الكبير، كتاب الأسرار، كتاب أسواق العرب...
7. كتبه في أخبار الشعر وأيام العرب: كتاب الكلاب، كتاب الأيام، كتاب مسيلمة الكذاب...
8. كتبه في الأخبار والأسمار: كتاب الفتيان الأربعة، كتاب السمر، كتاب عجائب البحر...

[1]- شمس الدين الذهبي، المرجع السابق، ج10، ص102. انظر أيضا: ياقوت الحموي، المرجع السابق، مجلد 5، ص 596.

هذا بالإضافة إلى كتاب النسب الكبير وكتاب أمهات النبي- صلى الله عليه وسلم-، وكتاب جمهرة الجمهرة[1]. الذي هو طبعة موسعة لمؤلف والده، ويحوي ملاحظات مختصرة، بعضها مهم عن مشاهير الرجال في كافة الحقول، وأصبح هذا الكتاب المرجع الأول للمؤلفين فيما بعد، ولكن الهمذاني يعده ناقصا في أنساب قبائل اليمن[2]

ونشير إلى أن هذه المؤلفات قد اندثرت، فلم يبق من آثار هذا النابغة العربي الإسلامي إلا النزر اليسير من الروايات التي نقلها بعض المصنفين، ولا يوجد الآن سوى ثلاثة كتب، وهي الجمهرة في النسب، وكتابان صغيران في الحجم ولكنهما احتويا على العلم الجم، وهما كتاب نسب الخيل في الجاهلية والإسلام، وكتاب الأصنام[3].

وقد اختلفت المصادر التي استقى منها ابن الكلبي مادته التاريخية والمعارف الدينية، ففي تاريخ الأنبياء أخذ عن "أهل الكتاب"، وفي تاريخ إيران يأخذ من الترجمات عن الفارسية ومن الأخبار والقصص المتداولة، كما أنه أخذ عن كتب عوانة وأبي مخنف وبيدي حصافة خاصة حين يستفيد من الكتابات والوثائق في كنائس الحيرة

[1]- ابن النديم، الفهرست، ط(دار المعرفة- بيروت- لبنان-1415 هـ/1994 م)، ص ص 124 إلى 127.

[2]- عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (دار المشرق بيروت لبنان: 1983م) ص-4041 أُنظر أيضا: عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية (دار النهضة العربية- بيروت) ص 36.

[3]- ابن الكلبي (مقدمة المحقق)، المرجع السابق، ص 19.

وهي تتعلق بتاريخ عرب الحيرة والعلاقات بين العرب والساسانيين ويأخذ من القصص الشعبي في تاريخ اليمن[1].

والكتاب الذي نحن بصدد دراسته هو "كتاب الأصنام" الذي يعد سجلاً وافياً لأخبار العرب وأيامهم وأصنامهم وأشعارهم وكهانهم، وهذا الكتاب لا يمكن الاستغناء عنه في دراسات الديانات القديمة في الحجاز، لأنه يتضمن كل ما تعبده العرب في تلك العصور الغابرة من الأصنام والأنصاب إلى جانب بيوت العبادة المعظَّمة عند العرب، بالإضافة إلى تناوله اليهودية والمسيحية وبقايا ديانة إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام[2]-

منهج ابن الكلبي فى كتابه الأصنام:

يعد ابن الكلبي من أكثر مؤرخي الأديان عند المسلمين تأثرا بعلوم الحديث، والقارئ لكتاب الأصنام يجد أدلة عديدة على هذا، ويمكن تلخيص تأثير علوم الحديث على ابن الكلبي فيما يأتي:

أولا: الإسناد

وفيه يقول ابن الكلبي: "الإسناد في الخبر مثل العلم في الثوب"، والإسناد في علم الحديث كما هو معروف هو إشارة إلى سلسلة رواة الحديث التي تسبق عادة متن الحديث، وقد نهج ابن الكلبي هذه النهج للدلالة على مصادر روايته للخبر الديني، وهو

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 40- 41 انظر أيضا: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 36.

[2]- الطاهر ذراع، الديانات القديمة في الحجاز قبل الإسلام من خلال المصادر العربية والكتب السماوية، إشراف: محمد البشير شنيتي، رسالة ماجيستير (جامعة قسنطينة-معهد العلوم الاجتماعية دائرة التاريخ: 1410 هـــ/1990 م)، ص 11.

ما يوضح اهتمامه بالتحرى والاحتياط في نقل الأخبار الدينية[1]. - خاصة أنه كان يمثل مرحلة انتقالية بين فترة سابقة كان ينعدم فيها الإسناد، وبين أسلوب المحدثين الدقيق في الإسناد[2]. فاستخدامه للإسناد دليل على التثبت في النقل، فهو عبارة عن شهادة للسماع، حيث ينتهي الإسناد إلى آخر من شهد الخبر، ورأى مصدره وسمع عنه، وهو كذلك دليل على اتصال النسب العلمي بين راوي الخبر الديني وسامعه، فالراوي شاهد عيان لما يرويه، وهذا بمنطق علماء تاريخ الأديان المعاصرين يساوي الملاحظة المباشرة مع استخدام الإسناد لنقلها[3]، ومن أمثلة الإسناد في كتاب الأصنام" وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار ابن ياسر وكان أعلم الناس بالأوس والخزرج قال: كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ بإخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها، فكانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رءوسهم. فإذا نفروا أتوه (يعني ودا)، فحلقوا رءوسهم عنده وأقاموا عنده. لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك[4]"، وفي بعض الأحيان كانت العنعنة أو سلسلة الإسناد تنتهي إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم-"قال هشام: فحدثنا الكلبى عن أبي صالح عن ابن باس قال: قال النبي "عليه السلام": رفعت لي النار فرأيت عمراً رجلاً قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه في

[1]- كابوري محمد، مالك بوناب، دراسات عربية معاصرة في علم تاريخ الأديان، إشراف: بشير كردوسي، مذكرة ليسانس (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة -1426 هـــ/2005 م) ص 89.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 125.

[3]- كابوري محمد، مالك بوناب، المرجع السابق، ص 90.

[4]- ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 14.

النار. قلت: من هذا؟ قيل: هذا عمرو بن لحى، أول من بحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وسيب السائبة، وحمى الحامية، وغير دين إبراهيم، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان... "[1]

ثانيا: التحمل والأداء

بالإضافة إلى استخدام ابن الكلبي للإسناد في توثيق مادته عن ديانة العرب، نجد أنه استخدم أيضا مراتب مختلفة من مراتب تلقي العلم، ومراتب الأداء، التي يبين فيها كيف تحمل الخبر الديني، وكيف نقل إليه، وكذلك تحديد مصادر الكتب التي استقى منها مادته الدينية التاريخية.

ومن مراتب التحمل عنده السماع، حيث إنه يستخدم للدلالة عليه عبارات معينة تدل على أن الخبر الديني وصل إليه بطريقة شفهية، ومن هذه العبارات: "سمعت"، "حدثني"[2]، ومن أمثلة ذلك في كتابه الأصنام:

"حدثنا أبي وغيره – وقد أثبت حديثهم جميعاً – أن إسماعيل بن إبراهيم "صلى الله عليهما" لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً، فتفسحوا في البلاد لالتماس المعاش"[3]، وفي موضع آخر قال: "وقد سمعت أن هذا البيت لم يكن بيت عبادة، إنما كان منـــزلا شريفا"[4]...، بالإضافة إلى هذا فإن ابن الكلبي يروي السماع المعتمد على رؤية، ومن أمثلة ذلك قوله: "فحدثني مالك بن حارثة

[1]– ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 58.

[2]– كابوري محمد، مالك بوناب، المرجع السابق، ص 91.

[3]– ابن الكلبي، المصدر السابق، 6.

[4]– المصدر نفسه، ص 45.

الأجداري أنه رآه، يعني ودا. قال: وكان أبي يبعثني باللبن إليه، فيقول: اسق إلهك. قال: فأشربه. قال: ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذا"[1].

وفي موضع آخر قال الكلبي: فقلت لمالك بن حارثة: صف لي ودا حتى كأني أنظر إليه. قال: كان تمثال رجلٍ كأعظم ما يكون من الرجال، عليه حلتان، متزر بحلة، مرتد أخرى. عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة أي جعبة فيها نبل"[2]، ونجده يستخدم أيضا عبارة: "وأنشدني" حين يشير إلى مصدر شعري: " قال أبو المنذر هشام بن محمد: وأنشدني الشرقي في ذلك لسراقة بن مالك بن جعشمٍ المدلجي من بني كنانة: ألم ينهكم عن شتمنا، لا أبا لكم! ... جذام ولخم أعرضت والمواسم؟

وعلى الرغم من أن ابن الكلبي قد استخدم منهج المحدثين، الذي هو منهج دقيق لما يتسم به من خاصية البحث والتحري والنقد سواء في مصادر المعلومات أم في ناقليها، فإننا نجد عنده جانبا من التساهل في الإسناد، حيث ينقل عن أشخاص مجهولين، ويتجلى ذلك في قوله، حدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله...[3]، وقد بلغنا أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ذكرها يوما (العزى)، فقال: لقد أهديت للعزى شاةً عفراء، وأنا على دين قومي[4]..، ولعل السبب في ذلك راجع إلى كون ابن الكلبي كان متأثرا إلى حد كبير بالاتجاه القبلي أو النزعة القبلية العربية، بخاصة

---

[1]- المصدر نفسه، ص 55.

[2]- المصدر نفسه، ص 56.

[3]- ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 14.

[4]- المصدر نفسه، ص 19.

أن البيئة الثقافية آنئذ فى الكوفة والبصرة،تشجع على ذلك و لم تخل من الآداب التى تعج برواية القصص والأساطير والإسرائيليات[1].

إن القارئ لكتاب الأصنام لابن الكلبي يجد أنه قد اعتمد على المنهج التاريخي الوصفي أيضا، ومن ملامح هذا المنهج التاريخي تأريخه لبداية التوحيد بإرجاعه إلى عصر آدم- عليه السلام[2]-، وهو في ذلك يتفق مع التصور القرآني من ناحية، ومع تصور بعض مؤرخي الأديان المسلمين وغير المسلمين، فيما يتعلق بالأصل الأول لنشأة الدين[3]. أما عن تاريخ بداية الانحراف في هذا الخط الديني التوحيدي، فيورد ابن الكلبي روايتين مختلفتين في ذلك، أولهما ترجع هذا الانحراف إلى الفترة التي جاءت بعد موت آدم- عليه السلام-، وقد كان الذي أدى ببني آدم إلى عبادة الأصنام رجل من بني قابيل بعد أن رأى بني شيث يعظمون قبر آدم، ويترحمون على جسده، فنحت لقبيلته صنما يعظمونه ويطوفون حوله، أما الرواية الثانية فترجع بداية هذا الانحراف إلى زمن قوم نوح الذين نحتوا خمسة أصنام لرجال صالحين منهم ماتوا في شهر واحد لتخليد ذكراهم، ومع مرور القرون اختلط الأمر على المتأخرين منهم فأصبحوا يعبدونهم، فبعث الله فيهم نبيه نوح- عليه السلام- ليهديهم إلى الصراط المستقيم، وقصته معروفة انتهت بالطوفان الذي أغرق الجميع ماعدا الفئة المؤمنة منهم-[4]. وعلى هذه السنة جرت الأحداث في الجزيرة العربية، حيث يبدأ التحديد الفعلي للتوحيد في هذه المنطقة بعصر إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام-، أما عن بداية تحول العرب القدماء إلى عبادة

[1]- عبد العزيز الدوري، المصدر السابق، ص 19.

[2]- ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 50-51 .

[3]- كابوري محمد، مالك بوناب، المرجع السابق، ص 93.

[4]- ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 51-53.

الأصنام والأوثان وهجرهم للتوحيد، فيرجعها ابن الكلبي إلى العصر الذي بدأت فيه الحروب والعداوات بين بني إسماعيل، الأمر الذى جعل وحدتهم الدينية تتصدع، وتظهر فيهم مظاهرو نوازع الشرك، والوثنية، وكان الذي أدخل هذا الترعة العقدية الشركية إلى هذه المنطقة هو عمرو بن لحي، بعد توليه حجابة البيت، فدعا العرب إلى عبادة الأصنام فعبدوها، ومن هذا الوقت انتشرت عبادة الأصنام في المنطقة العربية بكل أنواعها، واختلطت الطقوس التوحيدية الأصلية بطقوس العبادة الشركية[1]. وقد كان هذا الكتاب لوحا حافظا لمعلومات مهمة حول أصنام العرب، وكذا بعض أوصافها، وحتى زمن هدمها بعد مجيء الرسول –صلى الله عليه وسلم–بالإسلام ومحاربته للشرك والوثنية.

بالإضافة إلى هذا نجد أن ابن الكلبي اعتمد على المنهج الوصفي إلى جانب المنهج التاريخي، فحين يؤرخ لصنم ما فيقتضي بالضرورة عليه ذكر مواصفاته، وكذا مواصفات بعض الطقوس والعبادات التي كانت تؤدى له، وذكر القبائل التي اختصت بعبادته، وفي بعض الأحيان يورد ما قيل من أشعار في ذلك، ومن أمثلة المنهج الوصفي:

1– وصفه لعدد من الأصنام:

(1) اللات: وقد كانت عبارة عن صخرة مربعة.

(2) هبل: كان على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، جعلت له قريش بعدها يدا من ذهب.

(3) ذو الخلصة: كان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج.

(4) سعد: كان عبارة عن صخرة طويلة.

---

[1]– ابن الكلبي، المصدر نفسه، ص 6 و8.

(5) ود: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، له حلتان متزر بحلة، مرتد أخرى، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكب قوسا، وبين يديه حربة فيها لواء، وجعبة فيها نبال، وقد اتخذته ود بدومة الجندل.

(6) الفلس: كان أنفا أحمرا في وسط جبلهم الذي يقال أجأ أسود كأنه تمثال إنسان.

هذا وقد هدمت كل الأصنام في عصر النبي على أيدي كثيرين من الصحابة بأمر منه -صلى الله عليه وسلم-.

2 -وصفه لبعض المناسك والهدايا التي كانت تهدى للأصنام:

منها: - تلبية عك، وإذا خرجوا حجاجا، قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم، فكانا أمام ركبهم.

فيقولان: نحن غرابا عك**!**

فتقول عك من بعدهما: عك إليك عانيه، عبادك اليمانيه، كيما نحج الثانية.

وما كانت تفعله الأوس والخزرج عندما تحج، فكانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا أتوا مناة فحلقوا رؤوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك، وقد كانوا من أشد الناس إعظاما لهذا الصنم[1].

ومما سبق يتبين لنا عناية ابن الكلبي بتاريخ ظهور الأصنام، وجهوده المتواضعة في بيان أوصافها باستخدامه لمناهج حديثة، كمنهج المحدثين والمنهج التاريخي الوصفي، ومن ثم يمكن القول بأن ابن الكلبي – سبق عصره- أو كان له السبق في مسألة المناهج التي أسس لها من بعده بزمن طويل.

[1]- ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 16.

نظرة نقدية:

هناك ثلة من المؤرخين ممن كان لهم رأي خاص في ابن الكلبي، فخصوه بالثناء والتقدير، ونقلوا عنه الكثير من الأخبار المنسوبة إليه خاصة

ما تعلق منها بالتاريخ والنسب والطرائف والأوابد[1] كابن سعد في (الطبقات الكبرى)، وأبي جعفر الطبري الذي أكثر في النقل عنه، والكل يعلم مقامهما بين أهل العلم، وروى عنه أيضا الجاحظ كثيرا، والمسعودي اعتمد عليه في كتبه، بل عده في مقدمة الإخباريين وأهل العلم بالتاريخ، ثم جرى على هذه السنة كذلك ياقوت الحموي وعبد القاهر البغدادي[2].

غير أننا نجد أن الذهبي لديه رأي آخر، وهو أنه على الرغم من أن هؤلاء السابقين قد نقلوا عنه الكثير من الأخبار، إلا أنهم ربما محصوا شيئا مما أخذوه عنه وردوه، لما رأوا فيه من افتعال وتوليد[3]. أما الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد"، فقد قال إنّه كان واسع الرواية، ومن الحفاظ المشاهير، ولم يبد حوله رأيا خاصا، بل أورد أقوال بعض المحدثين حوله أمثال أحمد ابن حنبل الذي قال بأنه كان متروك الحديث، وكان مرفوضا وغير ثقة، وقد نحا هذا النحو صاحب كتاب "قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر"، وكذلك ابن العماد الحنبلي في كتابه: "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"[4].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 28.

[2]- المصدر نفسه، ص 34.

[3]- المصدر نفسه، ص 37.

[4]- المصدر نفسه، ص 57.

هناك فريق من العلماء، وبخاصة من أهل الحديث الذين طعنوا في ابن الكلبي، ومن نحا نحوه، وحجتهم في ذلك انهم تعرضوا لرواية الآثار دون أن تتوفر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لإملاء الحديث، كما أقدموا على تدوين الآثار ممزوجة ببعض الأساطير والأقاصيص، وهذا هو السبب الذي دعا أصحاب الحديث إلى الطعن في أمثال أولئك المصنفين، والتحذير من الأخذ بأقوالهم، وأهل الحديث معذورون في ذلك، لكثرة ما رأوا من الوضاعين الذين دلسوا وأخلطوا الحق باليقين، خاصة وأن ابن الكلبي اشتهر عند أهل السنة بالرفض والغلو في التشيع[1].

وقد ذكر السمعاني: "أن هشام ابن الكلبي يروي العجائب والأخبار التي لا أصول لها...وأخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها"، كما أنه روى عن والده الذي عرف بأنه كان من أصحاب عبد الله بن سبأ الذي كان سببا في فتن كبيرة بين المسلمين، وكان مرفوضا عند أهل الحديث، ونتج عن ذلك رفضهم لابنه كذلك، وقد قال عبد الله ابن أحمد ابن حنبل: سمعت أبي يقول: هشام ابن محمد ابن السائب ابن الكلبي، من يحدث عنه، إنما هو صاحب عر ونسب ما ظننت أن أحدا يحدث عنه[2].

وقال أحمد كذلك: هشام ن الكلبي الغالب عليه الأخبار والأسمار والنسب، ولا أعرف له شيئا من المسند، وقال يحي بن معين: غير ثقة، وليس عن مثله يروى الحديث، وقد اتهمه الأصمعي، وذكره العقيلي وابن الجارود وابن السكن وغيرهم في الضعفاء،

---

[1]- المصدر نفسه، ص 59.

[2]- ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 14.

وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة[1]. ومما سبق يتضح لنا أنّ أصحاب الحديث قد رفضوا ابن الكلبي رفضا كليا، وعدوه متروكا، وهذا راجع لنقله لبعض الأساطير والعجائب التي لا أصل لها.

الخاتمة: مما سبق نستنتج ما يلي:

- اشتهار ابن الكلبي بكثرة رواياته وغزارتها، وكذلك نبوغه في علم الأنساب واعتباره من أهم العلماء الذين جمعوا بين الأنساب والأخبار والدراسات الأدبية.

- كثرة كتب ابن الكلبي دليل على غزارة علمه، خاصة في أخبار العرب في الجاهلية، وكذا تنوع المصادر التي استقى منها مادته التاريخية. اعتبار ابن الكلبي إخباري أكثر منه مؤرخ، لعدم ظهور علم التاريخ في عصره كعلم مستقل له مناهجه وقواعده.

- اعتماد ابن الكلبي على منهج المحدثين بغية التدقيق والتثبت في الروايات التي نقلها.

- استخدام ابن الكلبي المنهج التاريخي والوصفي للتأريخ لبداية عبادة الأصنام في الجزيرة العربية، ووصفه لبعضها، وبعض العبادات والمناسك التي كانت تؤدى لها.

- نقل ابن الكلبي في بعض الاحيان لبعض القصص والغرائب والأساطير، وهذا دليل على نقله للأخبار دون تنقيحها وغربلتها وهذا ما وقع فيه الكثير من الإخباريين الأوائل.

[1]- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص 101.

- رفض المحدثين لكل الروايات التي رواها ابن الكلبي والسبب في ذلك هو تساهله في الإسناد، وروايته لبعض الأحاديث الموضوعة.

- تضارب آراء العلماء في ابن الكلبي، وجلهم كان يرفضه أي يرميه بالكذب، ومن ثَم حق لنا التساؤل: هل بإمكاننا الأخذ عن ابن الكلبي واعتباره مصدرا نستقي منه معلوماتنا خاصة في ما يخص الديانة العربية

القديمة؟ أم أنه يجب علينا إعادة النظر في هذه الشخصية والتحري عما قيل حولها لأخذ الحيطة والحذر أثناء النقل عنه؟ وهو ما يفتح المجال من جديد لمواصلة البحث في الإرث التاريخي والديني والمنهجي لهذه الشخصية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط (دار صادر- بيروت-) مجلد 6.

- ابن الكلبي، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا (مقدمة المحقق)، ط3 (دار الكتب المصرية- القاهرة-1995م).

- ابن النديم، الفهرست، ط1 (دار المعرفة- بيروت- لبنان- 1415هـ/1994م).

- بامخرمه أبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ط 1 (دار المنهاج: السعودية-جدة-: 1428هـ/ 2008م)، مجلد .

- البعلبكي منير، موسوعة المورد، ط1 (دار العلم للملايين- بيروت- 1981م) مجلد5.

- البغدادي الخطيب، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية- المدينة المنورة- مجلد 14

- الحموي ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، ط1 (دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، 1411هـ/ 1991م) مجلد 5.

- الحنبلي أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان-)، مجلد 1.

- عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب دار المشرق بيروت لبنان: 1983 م).

- العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية (دار النهضة العربية-بيروت).

- ذراع الطاهر، الديانات القديمة في الحجاز قبل الإسلام من خلال المصادر العربية والكتب السماوية، إشراف: محمد البشير شنيتي، رسالة ماجيستير (جامعة قسنطينة- معهد العلوم الاجتماعية دائرة لتاريخ: 1410 هـ/1990م).

- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط1 (مؤسسة الرسالة- بيروت- 1402هـ/ 1982م) ج 10.

- السمعاني أبي سعد عبد الكريم ابن منصور، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط1 (دار الجنان- بيروت- لبنان: 1408هـ/ 1998م).

- محمد كابوري، مالك بوناب، دراسات عربية معاصرة في علم تاريخ الأديان، إشراف: بشير كردوسي، مذكرة ليسانس (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة- 1426هـ/ 2005م).

- يزبك قاسم، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1 (دار الفكر اللبناني- بيروت- 1990م).